ندوة علمية موسومة

الخلفية الكلامية للبلاغة العربية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
كلية الآداب والحضارة الإسلامية
يوم: الأربعاء 02 جمادى الثانية 1446هـ الموافق:04 ديسمبر 2024 م

عنوان المداخلة :دور المدارس الكلامية في نشأة البلاغة العربية

The role of theological schools in the emergence of Arabic rhetoric

د.عصام خروبي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص

كان للبلاغة العربية الكمّ الهائل والنّصيب الأوفر من جهود العلماء والمتكلمين، فقد نالت من العظمة والاهتمام ما جعلها بحرا غاص في أعماقه الكثير من الباحثين لتصبح بدورها وسيلة للتعبير عن الأفكار ونقل المعارف. لذا جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على أهم المدارس الكلامية وأبرز الفرق التي كان لها الدور الفعّال في إرساء قواعد البلاغة العربية، وعلى رأسهم المعتزلة الذي كان لهم الفضل الكبير في نشأة وابتداع علوم البلاغة وإثراء المكاتب العربية بالمصنفات البلاغية، إلى جانب الأشاعرة الذين أولوا عنايتهم بدراسة إعجاز القرآن وما احتواه من أسس بلاغية وبيانية.

الكلمات المفتاحية: البلاغة العربية، المدارس الكلامية، القضايا البلاغية عند المعتزلة والأشاعرة.

Abstract

Arabic rhetoric has had a huge amount and the lion's share of the efforts of scholars ,and speakers. It has received such greatness and attention that it has become a sea in whose depths many researchers have dived, to become in turn a means of expressing ideas and transferring knowledge. Therefore, this study came to shed light on the most important schools of theology and the most prominent groups that had an effective role in establishing the rules of Arabic rhetoric, headed by the Mu'tazila, who had great credit in the emergence and innovation of the sciences of rhetoric and enriching Arabic libraries with rhetorical works, in

addition to that, the Ash'aris who devoted their attention to studying the miracle of the Qur'an and what it contained of rhetorical and expressive foundations.

Keywords: Arabic rhetoric **,**theological schools ,rhetorical issues among Mu'tazila and Ash'ari.

مقدمة

تعتبر البلاغة موضوع من الموضوعات المهمّة في التراث الفكري الإسلامي وفن من الفنون اللّغوية التي استلهمت عقول أغلب علماء الكلام فكان لها الحظ الوافر من اهتماماتهم حيث اعتمدوا في دراستها وتحليل مفهومها على رؤى فريدة من نوعها بهدف تحسين جودة الخطاب والتأثير على الآخرين. ونجد على رأس هؤلاء المتكلمين فرقة المعتزلة الذين كان لهم الدور البارز والفعّال في تحديد الدلالات البلاغية استنادا على معتقداتهم الفكرية، وفرقة الأشاعرة الذين اهتموا بقضايا الاعجاز القرآني، كما أسهموا أيضا في تحديد مسار البلاغة.

1.مفهوم البلاغة

1.1. البلاغة لغة

البلاغة في اللغة هي الوصول والانتهاء، و"يقال: بلغ الشيء أي وصل إليه، وانتهى إليه، وتبلّغ بالشيء وصل على مراده، والبلاغ ما يُتبلّغ به، ويتوصّل إلى الشيء المطلوب، بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، مبلغ الشيء منتهاه، رجل بليغ: حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، وبَلُغَ : صار بليغا، وتبالغ به الفرح والحزن: تناهى.... "[1].

جاء مفهوم البلاغة عند ابن الأثير في قوله:" أما البلاغة فإن أصلها في وضع اللغة هي الوصول والانتهاء يقال: بلغت المكان إذا انتهيت إليه، ومبلغ الشيء منتهاه، وسمي الكلام بليغا من ذلك أي أنه قد بلغ الأوصاف اللفظية والمعنوية"[2].

2.1. البلاغة اصطلاحا

[1]- جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي (ت711هـ)، لسان العرب، ط3(1414هـ)، دار صادر–بيروت، مادة (بلغ)، ج8، ص420.

[2]–نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر، دط (1995)، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، المكتبة العصرية، بيروت –لبنان، ج1، ص840.

عرّفت البلاغة في معجم المصطلحات العربية على أنها: "هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، فلا بدّ فيها من التفكير في المعاني الصـادقة القيّمة القوية المبتكرة منسّـقة حسـنة الترتيب، مع توخّي الدقّة في انتقاء الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال من يكتب لهم أو يلقى إليهم"[3].

2.مفهوم علم الكلام

1.2. مفهوم علم الكلام لغة

الكلام في اللغة هو: "(الكلم) الجرح أي جمع كلوم وكلام والكلام في أصل اللغة الأصوات المفيدة وعند المتكلمين المعنى القائم بالنفس الذي يعبر عنه بالألفاظ"[4].

2.2. مفهوم علم الكلام اصطلاحا

عرّف ابن خلدون علم الكلام في مقدّمته: "هو علم يتضـمن الحجاج عن العقائد الإيمانية، بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد"[5].

وعرّفه الجرجانيّ بأنّه: "علمٌ يُبحث فيه عن ذات الله تعالى، وصـــفاته، وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام"[6].

كما عرّفه الفارابي على أنّه:"ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحمودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل"[7].

3.المدارس الكلامية

---

[3]- مجدي وهبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ص45.

[4]- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرّازي، أبو الحسين (ت395هـ)، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع، مادة (الكلم)، ج5، ص131.

[5]- عبد الرحمان بن محمد بن محمد ابن خلدون (ت808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط4، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ج1، ص485.

[6]- علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت 816هـ)، التعريفات، (1984)، دار القلم، بيروت-لبنان، ج1، ص458.

[7]-أبي نصر الفارابي (ت239هـ)، إحصاء العلوم، ت: عثمان أمين، ص 131.

اهتمت المدرسة الكلامية بالتّحديد الدّقيق والتقسم العقلي واستعمال أسالب المتكلمين في بحث الموضوعات وحصرها، وأدخل الكلاميون بعض مسائل الفلسفة والطبيعة الإلهية والخلقية كالكلام في الألوان والطعوم والحواس الإنسانة والوهم والخبال والحس المشترك. "وامتازت بالجدل والمناقشة والتحديد اللّفظي والعناية بالتعريف الصحيح والقاعدة المقررة"[8].

4. المعتزلة

تعتبر المعتزلة من أهم الفرق الكلامية التي نشأت في أواخر العصر الأموي في البصرة وتطورّت في العصر العباسي. كان لها الدور البارز والفعّال في علم الكلام، واستطاع علماء الكلام لفرقة المعتزلة تطوير الخطاب الكلامي، وأقاموا مذهبهم على النظر العقلي، فطغت عليهم النّزعة العقلية حيث أرجعوا كل شيء إلى العقل، فكان هو مصدر معارفهم للدّفاع عن العقيدة من البدع وغيرها. كما اختلف الباحثون حول أصل التسمية، وكما أجمع عليها المؤرخون يمكن القول أنّ المعتزلة سميت بناء إلى واصل بن عطاء[9]. والمعتزلة كما تحدث عنها أحمد أمين هي: "أكثر الطوائف إرساء لأسس البلاغة بحكم اتصالهم بالقرآن الكريم، ونظرتهم العميقة نظمه وتأليفه وأساليبه ودلالات ألفاظه ومعاني"[10]. وقال الجاحظ: "أن كبار المتكلمين ورؤساء النظارين (وعلى رأسهم المعتزلة) كانوا فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من البلغاء، وهم تخيّروا الألفاظ لتلك المعاني وهم استقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف، وقدوة لكل تابع"[11].

1.4. بعض علماء الكلام لفرقة المعتزلة وجهودهم البلاغية

اشتهرت فرقة المعتزلة بميولها إلى الأبحاث البلاغية وتعلّقها الشديد بعلم البلاغة، حيث تمكنوّا من إثراء جلّ المكاتب العربية بمختلف الكتب البلاغية التي برهنت على حبّهم للاطلاع وسعة النّظر في خدمة الدّرس البلاغي. ونذكر من بينهم:

---

[8]- ينظر: أمين الخولي، فن القول، (1996)، دار الكتب المصرية- القاهرة، ص 33.

[9]-فيصل بدير عون، علم الكلام ومدارسه، (1998)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، ص134.

[10]- ينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط1، دار الكتب العلمية -بيروت، ج3، ص104.

[11]- ينظر: عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت255هـ)، البيان والتبيين، ط3، ت: عبد السلام محمد هارون - بيروت، ص106.

1.1.4. إبراهيم بن سّيار بن هانئ النظّام (ت231هـ): من أوائل البلاغيين العرب المعتزلة الذين اهتموا بدراسة وتحليل الكلام العربي في معناه البلاغي، حيث يعتبر أول من تحدث عن القضية النقدية التي شغلت بال المفكرين والنقاد خلال تلك الفترة، وهي قضية اللفظ والمعنى والتفريق بينهما. فكانت له الأسبقية في التفريق بين اللفظ والمعنى تفريقا يخدم عقيدته الاعتزالية والمبنية على خمسة أصول أساسية هي التوحيد، العدل، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الوعد والوعيد. ومن أهم الأسس البلاغية التي كانت محط اهتمام النَّظَّام نذكر ما يلي:

–الدقة والوضوح في التعبير: أولت المعتزلة عناية بالغة في التعبير من حيث الدّقة والوضوح، لأنهم كانوا يرون أن لغة القرآن والسنة يجب أن تكون مفهومة وواضحة، لذا كانوا يستخدمون اللغة بشكل يجعل المعاني والأفكار واضحة للمستمعين.

–التركيز على العقل والمنطق: التأكيد على استخدام العقل والمنطق في فهم الدين والتحدث عنه. فلقد كان المعتزلة يعتبرون العقل جزءا مهمّا وأساسيّا في استيعاب الحقائق الدينية، ويحثّون على التفكير العقلاني والتدقيق في المفاهيم.

ومن أهم المجهودات والقضايا البلاغية التي عالجها النظّام نذكر: "دقة المعاني وخفائها وجزالة الألفاظ وفخامتها ينحو بالإعجاز ناحية طرائق العرب، إذ إن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها في الإيجاز والاختصار، والإطالة والتوكيد، والإشارة إلى الشيء، وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا الُّلقن"[12].

2.1.4 .أبو سهل الهلالي (210هـ): هو من قام بتأسيس فرع المعتزلة في بغداد وكان يشتهر بقوّة شخصيته، وقد ذاع صيته في مجال الأدب والبلاغة وبرع فيهما، حيث قال عنه الجاحظ من خلال ما جاء في الصحيفة القيّمة التي نقلها في بيانه والتي تعتبر من أهم الصحائف التي تجسّد التاريخ الأول لظهور علم البلاغة، فهذه الوثيقة المهمّة " تظهر للمتلقي من الوهلة الأولى أن صاحبها هو مؤسس علم البلاغة العربية وليس باحثا فيها"[13]. ومن أقواله المشهورة التي أفاد منها الجاحظ فيما كتب، ويقول فيها بشر: " خُذْ مِنْ نَفْسِكَ سَاعَةَ نَشَاطِكَ، وَفَرَاغَ بَالِكَ فِي إِجَابَتِهَا إِيَّاكَ، فَإِنَّ فَلِيلَ تِلْكَ السَّاعَةِ أَكْرَمُ جَوْهَرًا، وَأَشْرَفُ حَسَبًا وَأَسْرَعُ فِي الأَسْمَاعِ، وَأَحْلَى فِي الصُّدُورِ، وَأَسْلَمُ مِنْ فَاحِشِ الْخَطَأِ، وَأَجْلَبُ لِكُلِّ عَيْنٍ وَغُرَّةٍ، مِنْ لَفْظٍ شَرِيفٍ، وَمَعْنًى بَدِيعٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدَى عَلَيْكَ مِمَّا يُعْطِيكَ يَوْمُكَ الأَطْوَلُ بِالْكَدِّ وَالْمُجَاهَدَةِ، وَبِالتَّكَلُّفِ وَالْمُعَاوَدَةِ، وَمَهْمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يُخْطِئْكَ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولا قَصْدًا، وَخَفِيفًا عَلَى اللِّسَانِ سَهْلا، وَكَمَا خَرَجَ مِنْ يَنْبُوعِهِ، وَنَجَمَ مِنْ مَعْدِنِهِ، وإِيَّاكَ وَالتَّوَعُّرَ، فَإِنَّ التَّوَعُّرَ يُسْلِمُكَ

[12]– أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، الشعر والشعراء، دط، (1423هـ)، دار الحديث، القاهرة، ج1، ص69.

[13]– أحمد أمين، المرجع السابق، ج3. ص105.

إِلَى التَّعْقِيدِ، وَالتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيَكَ، وَيَشِينُ أَلْفَاظَكَ، وَمَنْ أَرَاغَ مَعْنًى كَرِيمًا فَلْيَلْتَمِسْ لَهُ لَفْظًا كَرِيمًا. فَإِنَّ حَقَّ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ اللَّفْظُ الشَّرِيفُ"[14].

لقد احتوت الصحيفة على قضايا بلاغية هي:

اختيار الكلام، البعد عن التعقيد، البعد عن التعقيد، اختيار اللفظ الشريف للمعنى الشريف، مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

3.1.4. الرماني (ت384هـ): هو أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله اشتهر برسالته 'النّكت في إعجاز القرآن' فهو: "مفسر معتزلي ولد سنة 296هـ. برع في اللغة والأدب والفقه وعلوم القرآن. توفي سنة 384 هـ. لقد كان للرماني نظرة فذة وصحيحة في المباحث البلاغية أثرى بها الدرس البلاغي. فهو أول من قام بتقسيم البلاغة إلى طبقات ومراتب، أعلاها بلاغة القرآن الكريم ثم تأتي مرتبة البلغاء من الناس"[15]. ويقول عنه شوقي ضيف: "وواضح أنه أضاف في حديثه عن البلاغة، إضافات جديدة إلى من سبقوه، فقد حدّد فنونها تحديدا نهائيا، ورسم لها أقساما رسما دقيقا"[16].

ومن أهم المجهودات والقضايا البلاغية عند الرّماني: التشبيه البليغ والاستعارة، فالبلاغة عنده هي: حسن استعمال اللفظ حتى يصل إلى القلب"[17]. فمدارها على أمرين إيصال وحسن.

وأما أقسام البلاغة فعشرة: الايجاز، التشبيه، الاستعارة، الفواصل، التجانس، التصريف، التضمين، المبالغة، حسن البيان[18].

4.1.4. الجاحظ (ت255هـ): وهو من كبار المعتزلة الذين أعطوا مسائل البيان اهتماما كبيرا، حيث تحدث عن الألفاظ وملاءمتها للمعاني، وعن الايجاز والاطناب، كما كان له الفضل الكبير في تأسيس علم البيان العربي، ويقول طه حسين عنه: "فالعرب لم يخطئوا حين عدّوا الجاحظ مؤسس البيان العربي؛ لأنه جمع في هذا الكتاب 'البيان والتبيين' طائفة من النّصوص توضح لنا توضيحا حسنا كيف كان العرب يتصورون البيان في القرن الثاني

---

[14]-الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص129.

[15]- أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دط، ت: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ص474.

[16]- أحمد شوقي عبد السلام ضيف (ت1426هـ)، البلاغة تطور وتاريخ، ط4 (1965م)، دار المعارف، ص107.

[17]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص76.

[18]-علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني (384هـ)، النكت في أعجاز القرآن، ت: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ط3، (1976م)، دار المعارف، مصر، ص ص 76-106.

والنّصف الأول من القرن الثالث، وتعطينا صورة مجملة لنشأة البيان العربي"[19]. وقال عنه عبد السلام هارون: "ولعلّ السبب في ذلك ما ضمّنه كتابه البيان والتبين من قضايا بلاغية وآراء نقدية"[20]. ولقد دوّن الجاحظ كثيرا مما أثر عن فصحاء العرب من أقوال في فضل البيان ...وساق وصايا المتقدمين في وصف البلاغة واهتم بشرحها وأضاف اليها من فكره ما رآه لازما في هذا المضمار، وهذه المبادئ التي تناولها الجاحظ ظلت تدور على ألسنة البلاغيين من بعده.

5.الأشاعرة

ظهرت المدرسة الأشعرية في منتصف القرن العاشر ميلادي الرابع للهجرة بعد سيطرة المعتزلة في القرن الثالث للهجرة، على يد تلامذة الأشعري نسبة إلى إمامها ومؤسسها أبي الحسن الأشعري الذي ينتمي نسبة إلى الصحابي أبي موسى الأشعري، واعتمدت الشاعرة كعقيدة لعديد من القرون في الإسلام السنيّ حتى أصبح الأشاعرة هم أنفسهم أهل السنة [21].

1.5. بعض علماء الكلام لفرقة الأشاعرة وجهودهم البلاغية

1.1.5. أبو الحسن الباهلي البصري (ت980هـ): قال عنه االذّهبي: "العلامة، شيخ المتكلمين، أبو الحسن الباهلي البصري، تلميذ أبي حسن الأشعري، برع في العقليات، وكان يقظا، فطنا، لسنا، صالحا، عابدا... "[22]. ومدحه ابن فورك فيما نقله عنه ابن عساكر قائلا: "ممن تخرج بأبي حسن الأشعري ممن اختلف إليه واستفاد منه: المعروف بأبي الحسن الباهلي، وكان إماميا في الأول، رئيسيا مقدما، فانتقل عن مذهبهم بمناظرة جرت له مع الشيخ أبي حسن الأشعري رضي الله عنه، ألزمه فيها الحجة، حتى بان له الخطأ فيما كان عليه من مذاهب الإمامية فتركها، واختلف إليه ونشر علمه بالبصرة، واستفاد منه الخلق الكثيرون، ثم تخرج به أيضا المعروف بأبي

---

[19]- قدامة بن جعفر، نقد النثر، ط15 (1351هـ-1948م)، ت: طه حسين، عبد الحميد البغدادي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص03.

[20]-ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص05.

[21]-هندري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ط2 (1998)، عويدات للنشر والطباعة، بيروت- لبنان، ص188.

[22]-شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذّهبي (ت748هـ-1370م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ت: عمر عبد السلام التدمري، ط 2(1413هـ-1993م)، دار الكتاب العربي، بيروت، ج8، ص344.

الحسن الرماني، وكان مقدما في أصحابه، وكذلك تخرج به أبو عبد الله حمويه السيرافي، وطالت صحبته له، وعاد إلى سيراف، وانتفع به من هناك، ورأيت من أصحابه بشيراز من لقيه ودرس عليه"[23].

2.1.5. محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي (ت370هـ): له عدّة كتب في علم الأصـــول، قال عنه عياض: "كان ابن مجاهد هذا مالكي المذهب، إماما فيه مقدما، غلب عليه علم الكلام والأصول"[24].

3.1.5. أبو سهل محمد بن سليمان الصعلوكي النيسابوري (ت369هـ): قال عنه السبكي: "الإمام الأستاذ الكبير، أبو سهل الصعلوكي، شيخ عصره، وقدوة أهل زمانه، وإمام وقته في الفقه والنحو، والتفسير واللغة، والشعر والعروض، والكلام والتصوف، وغير ذلك من أصناف العلوم، أجمع أهل عصره على أنه بحر العلم الذي لا ينزف وإن كثرت الدلائل، وجبل المعارف التي لا تمر بها الخصوم إلا كما يمر الهوا"[25].

4.1.5. أبو الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري (ت380هـ): قال عنه الذهبي: رحل في طلب العلم، وصحب أبا الحسن 0الأشعري بالبصرة مدة، وتخرج به، وصنف التصانيف، وتبحر في علم الكلام، وهو مؤلف كتاب مشكل الأحاديث الواردة في الصفات"[26].

5.1.5. القاضي أبو بكر الباقلاّني (ت403هـ): **من** كبار علماء علم الكلام وصاحب كتاب **'**إعجاز القرآن**'** الذي دافع به عن القرآن الكريم، ويعتبر من أبرز وأكمل الكتب التي ألّفت حول الإعجاز القرآني. كما كان لكتابه أيضا الدور الفعّال في قيادة الدرس البلاغي فلقد اشتهر بذكائه وسرعة بديهته وقوّة لسنه وحجّته، بالإضافة إلى كتاب **'**الانتصار للقرآن**'** الذي يشمل مواضيع بلاغية مهمّة. وقال عنه محمد عبد المنعم:" ثمرة ذوق رفيع، وموهبته عالية وثقافته واسعة واطلاع عميق"[27]. ومن أهمّ دراساته وجهوده أنّه قام بتهذيب بحوث الأشعري، وتكلّم في مقدمات البراهين العقلية للتوحيد وغالى فيها كثيراً إذ لم ترد هذه المقدمات في كتاب ولا سنة، ثم انتهى إلى مذهب

---

[23]– علي بن الحسن ابن عساكر; أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري، تبيين كذب المفتري فيما نسب للأشعري، (1928)، ص127.

[24]–أبو الفضل القاضي عياض (ت544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ت: سعيد أحمد عراب، ط2 (1403هـ–1983م)، ج6، ص196.

[25]–تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت771هـ–1370م)، طبقات الشافعية الكبرى، ت: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ج3، ص167.

[26]– الذهبي، المرجع السابق، ج8، ص492.

[27]–محمد عبد المنعم خفاجي، الفكر النقدي والأدبي، رابطة الأدب الحديث، ص97.

السلف وأثبت جميع الصفات كالوجه واليدين على الحقيقة وأبطل أصناف التأويلات التي يستعملها المؤولة وذلك في كتابه: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل. ومن أشـهر مؤلفاته: إعجاز القرآن، الإنصـاف، مناقب الأئمة، دقائق الكلام، الملل والنحل، الاستبصار، تمهيد الأوائل، كشف أسرار الباطنية.

6.1.5. عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ): من أهم مؤلفاته في البلاغة العربية 'أسـرار البلاغة' و 'دلائل الإعجاز' و'الرسـالة الشـافية'. تميز بدفاعه عن الأشـاعرة وردوده على المعتزلة في كتابه دلائل الإعجاز كما تحدث عن قضية اللفظ عند المعتزلة. أضاف الجرجاني مسارا جديدا لعلم الإعجاز هو مسار النحو بعد مساره البلاغي. "وأمر النظم في أنه ليس شـيئا غير توخّي معاني النّحو فيما بين الكلم، وأن ترتب المعاني في أنّه ليس شـيئا غير توخيّ معاني النحو فيما بين الكلم "[28]. "كما بيّن خطأ المعتزلة في قولهم بالصـرفة"[29]، وظنوا أنّ للّفظ، حسـنا ومزيّة ونبلا"[30].

وقال طبانة عنه: "ويعنينا قبل أن ننظر في تلك الدراسـة القيّمة التي بسّـطها الجرجاني في كتابيه أن ننبّه إلى أنّ عبارات البلاغة والفصاحة والبيان وما شاكلها من المصطلحات تكاد تتقارب في نظر عبد القاهر لأنها جميعا كما يقول 'يعبّر بها عن فضـل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا أو تكلّموا وأخبروا السـامعين عن أغراضـهم ومقاصدهم، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم"[31].

ويقول محمد رشيد رضا في الكتابين:" فَإِنَّهُمَا هُمَا الْكِتَابَانِ اللَّذَانِ يُجِيلَانِكَ فِي قَوَانِينِ الْبَلَاغَةِ عَلَى وِجْدَانِكَ، وَمَا تَجِدُ مِنْ أَثَرِ الْكَلَامِ فِي قَلْبِكَ وَجَنَانِكَ، فَتَرَى أَنَّ عِلْمَيِ الْبَيَانِ شُـعْبَةٌ مِنْ عِلْمِ النَّفْسِ، وَأَنَّ قَوَاعِدَهُمَا يَشْـهَدُ لَهَا الشُّعُورُ وَالْحِسُّ"[32]. ومن الأسس البلاغية التي ذكرها الجرجاني، الحديث عن النظم، حيث يقول:" الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الاعراب هو الذي يفتحها، والأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها"[33].

---

[28]–أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني (ت471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ت: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط 3(1413هـ-1992م)، ج1، ص454.

[29]–الجرجاني، المرجع نفسه، ج،1 ص4.

[30]–الجرجاني، المرجع نفسه، ج1، ص365.

[31]– طبانة بدوي أحمد، البيان العربي، دراسة فنية تاريخية في أصول البلاغة العربية، ط2 (1377هـ-1958م)، مطبعة الرسالة، ص116.

[32]–محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين (ت1354هـ)، تفسير المنار، ط1990، الهيئة المصرية، ج1، ص168.

[33]–الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص255.

7.1.5. فخر الدّين الرّازي (ت606هـ): من أهم مؤلفاته كتاب' نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز' والذي برع في علم البلاغة من خلال أهم ما جاء فيه من نظم وفصاحة وبلاغة. وقال عنه جمال الدين القفطي في كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء:" وله تصانيف في الأصول وتصانيف في المنطق وفسر القرآن تفسيراً كبيراً وكان علمه محتفظاً من تصانيف المتقدمين والمتأخرين يعلم ذلك من يقف عليها... كان من أفاضل أهل زمانه بَذَّ القدماء في الفقه وعلم الأصول والكلام والحكمة ورد على أبي علي بن سينا واستدرك عليه وكان عظيم الشأن بخراسان وسارت مصنفاته في الأقطار واشتغل بها الفقهاء... ومن تصانيفه كتاب تفسير القرآن الكبير سماه مفاتيح الغيب سوى تفسير الفاتحة وأفرد لها تصنيفاً اثني عشر مجلداً بخطه الدقيق. كتاب تفسير القرآن الصغير سماه أسرار التنزيل وأنوار التأويل..."[34].

وقد رجع الرازي في آخر عمره عن أقواله، حيث قال الذهبي عنه: "وَقَدْ بدَتْ مِنْهُ فِي تَوَالِيفِهِ بلاَيَا وَعظَائِمُ وَسِحْرٌ وَانحرَافَاتٌ عَنِ السُّنَّةِ، وَاللهُ يَعْفُو عَنْهُ، فَإِنَّهُ تُوُفِّيَ عَلَى طرِيقَةٍ حَمِيدَةٍ، وَاللهُ يَتولَّى السَّرَائِرَ. مَاتَ: بِهَرَاةَ، يَوْمَ عِيْدِ الفِطْرِ، سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّ مائَةٍ، وَلَهُ بِضْعٌ وَسِتُّوْنَ سَنَةً، وَقَدِ اعترَفَ فِي آخِرِ عُمُرِه، حَيْثُ يَقُوْلُ (١): لقد تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الكَلاَمِيَّةَ، وَالمَنَاهِجَ الفلسفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تشفِي عليلًا، وَلاَ تروِي غليلًا، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طرِيقَةَ القُرْآنِ، أَقرَأُ فِي الإِثْبَاتِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتوَى ﴾ سورة طه/ الآية5، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ...﴾ سورة فاطر/الآية 10، وَأَقرَأُ فِي النَّفْي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ سورة الشورى/الآية11، وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجرِبَتِي عرفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي"[35].

نستنتج مما سبق أن المتّكلمين اعتمدوا على أساليب البيان كبنية أساسية في دراسة إعجاز القرآن، ولم تقتصر الدراسات على الناحية اللّفظية ولا على الناحية المعنوية وحدها، بل على النّاحية الموضوعية، مع التأكيد على دلالة اللّفظ ودلالة العبارة على المعنى. كما اعتمدوا أيضا اتباع المنهج الموضوعي الذي يرتكز على أسلوب الموازنة بين النصوص المأثورة وبين الأسلوب القرآني، بالإضافة الى التجديد في علم البيان واستخراج فنون بيانية جديدة[36].

خاتمة

كانت هذه الورقة البحثية محطّة للحديث عن دور المدارس الكلامية في نشأة البلاغة العربية وعرض بعض جهود العلماء المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة الذين استخدموا علم البلاغة لخدمة معتقدهم، وكيف كانت إسهاماتهم في توجيه الدراسات البلاغية وتحديد المسار البلاغي واهتمامهم بالإعجاز القرآني.

---

[34]–جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، (2005)، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

[35]–شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، ت: مجموعة من المحققين بأشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3(1405هـ–1985م)، مؤسسة الرسالة، ج31، ص501.

[36]–ينظر: طبانة، المرجع السابق، ص40.

قائمة المصادر والمراجع

1- أبو الفضل القاضي عياض (ت544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ت: سعيد أحمد عراب، ط2 (1403هـ-1983م).

2- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، الشعر والشعراء، دط، (1423هـ)، دار الحديث، القاهرة

3- أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دط، ت: إحسان ط، دار صادر، بيروت.

4- أحمد شوقي عبد السلام ضيف (ت1426هـ)، البلاغة تطور وتاريخ، ط4 (1965م)، دار المعارف.

5- أمين الخولي، فن القول، (1996)، دار الكتب المصرية- القاهرة.

6- تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت771هـ-1370م)، طبقات الشافعية الكبرى، ت: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو.

7- جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي (ت711)، لسان العرب، ط3(1414هـ)، دار صادر، بيروت، مادة (بلغ).

8- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذّهبي (ت748هـ-1370م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ت: عمر عبد السلام التدمري، ط 2(1413هـ-1993م)، دار الكتاب العربي، بيروت.

9-شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، ت: مجموعة من المحققين بأشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3(1405هـ-1985م)، مؤسسة الرسالة، ج31، ص501.

10- طبانة بدوي أحمد، البيان العربي، دراسة فنية تاريخية في أصول البلاغة العربية، ط2 (1377هـ-1958م)، مطبعة الرسالة.

11- عبد الرحمان بن محمد بن محمد ابن خلدون (ت808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط4، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

12- علي بن الحسن ابن عساكر، أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري، تبيين كذب المفتري فيما نسب للأشعري، (1928).

13- علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني (384هـ)، النكت في أعجاز القرآن، ت: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ط3، (1976م)، دار المعارف، مصر.

14- علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت816هـ)، التعريفات، (1984)، دار القلم، بيروت-لبنان.

15- عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت255هـ)، البيان والتبيين، ط3، ت: عبد السلام محمد هارون – بيروت.

16- قدامة بن جعفر، نقد النثر، ط15 (1351هـ-1948م)، ت: طه حسين، عبد الحميد البغدادي، دار الكتب المصرية، القاهرة.

17- مجدي وهبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان.

18- محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين (ت1354هـ)، تفسير المنار، ط1990، الهيئة المصرية.

19- نصـر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ضـياء الدين ابن الأثير، المثل السـائر، دط (1995)، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، المكتبة العصرية، بيروت -لبنان.
20-أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسـي الجرجاني(ت471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ت: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط3 (1413هـ-1992م).
21-أبي نصر الفارابي(ت239هـ)، إحصاء العلوم، ت: عثمان أمين.
22-أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط1، دار الكتب العلمية -بيروت.
23-أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرّازي، أبو الحسين (ت395هـ)، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع، مادة (الكلم).
24-جمال الدين أبي الحسـن علي بن يوسـف القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، (2005)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
25-فيصل بدير عون، علم الكلام ومدارسه، (1998)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط.
26-محمد عبد المنعم خفاجي، الفكر النقدي والأدبي، رابطة الأدب الحديث.
27-هندري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ط2 (1998)، عويدات للنشر والطباعة، بيروت- لبنان.